ان الحقيقة الجوهرية هي اننا مختلفان . انا اتكلم لغتك ، لكنك لا تعرف لغتي . انكم واضحون ومحددو المعالم وليست فيكم اية اسرار غامضة علينا . اما نحن فكتاب مغلق عليكم باحكام».

والاسلوب الذي يعتمده مراد بوربون اسلوب مباشر تنقصه البراعة، وبعض اجزاء روايته افضل منها ككل . لكن لها مزايا الشباب : الينـاعة والاخلاص والحماس. وقد استخدم شكلا صعباً لبناء روايته الاولى، شكلا دائريا يشبه الحد كبيرما استعملته آسيا جبار ونجحت فيه اكثر منه. كما أن في اسلوبه وترا لاذعا يقربه من اسلوب ادريس الشريبي لكن دون ان يكون فيه ما في الشريبي من رأفة وتفهم ناضج . ومع هذا فان روايته تحررت من التقليد الادبي للروايات العربية او الفرنسية اكثر مما تحررت منه الروايات السابقة للمؤلفين العرب في شمالي افريقيا ، ولعله من الممكن ان نسميها اول رواية جزائرية حقيقية . وعلى كل حال فان المؤلفين العرب في شمالي افريقيا قد اخذوا يسهمون في الادب الغربي اسهاما مميزا .

أمريكا : من روبي مكولي

ليس في امريكا مجلة ادبية اوطد مقاما واكثر شهرة من المجلة الاسبوعية « ملحق الكتب للنيويورك تايمز ». وقد تعرضت هذه المجلة في الاشهر الاخيرة لهجوم عنيف ، استهل في مجلة ادبية فصلية تحدث فيها عدد من الناشرين والمحررين والمؤلفين والنقاد عن « ملحق الكتب » هذا ، وتميزت احاديثهم عنه بالاحتقار والسخرية والاسف . لكن هذا الهجوم المشترك كان بسيطاً بالنسبة للهجوم اللاحق الذي سدده له الناقد دوايت ماكدونلد . فقد كتب مقالتين طويلتين في مجلة « اسكواير » بعنوان « النيويورك تايمز ، وأسفاه » (وفي هذا العنوان اشارة الى اقتباس من بول فاليري الذي سئل مرة من في رأيه اعظم شعراء فرنسا في القرن التاسع عشر فاجاب « فكتور هيغو ، وأسفاه » . ولعله لم يحدث قط في تاريخ الصحافة الامريكية ان تعرضت مجلة منا - وبصورة خاصة مجلة لها من الوقار ما « ملحق الكتب » - لمثل هذا الاحتقار المدمر والبارع .

ولم تكن هذه اول مرة يشعر فيها المفكرون بنقمة على « ملحق الكتب » . في تنقلاتي خارج امريكا كثيراً ما كان يسألني الادباء والمتأدبون ذات السؤال : هل توجد في الولايات المتحدة مجلة جيدة للتعليق على الكتب ، مجلة تشبه « الملحق الادبي للتايمز » اللندنية ؟ اما جوابي فكان ، بالطبع ، لا . ومعظم القراء يرون ان « ملحق الكتب » هو المجلة الوحيدة التي عندنا والتي تشبه تلك المجلة اللندنية شبهاً بعيداً - وكما يقول ماكدونلد « واأسفاه » .

ما الذي يعرّض « ملحق الكتب » لهذه الهجومات ؟ لاقل اولا ان مصدر هذه الهجومات هو طبقة المفكرين الواعين في الادب الامريكي ، من الكتاب والنقاد الذين يحكمون على الاشياء بمقاييس صارمة لا تلقى دائماً قبولا لدى القارىء العادي ، وهي مقاييس تتبعها المجلات الادبية الراقية مثل « بارتزن » و « سيواني » و « كنيون » . اما « ملحق الكتب للنيويورك تايمز » ، من الوجهة الاخرى ، فقرّاؤه جمهور واسع جدا يقوم في معظمه على من يقرأون الكتب من حين لحين فقط وبصورة عابرة ولاسباب غير ادبية (كثير من

القراء يطالعونها ليتصفحوا بسرعة الخلاصات الموجزة لاحدث الكتب المتعلقة بالسياسة والرحلات ولعبة الغولف) ، فهي بصورة رئيسية « جريدة » للكتب ، مكرسة في معظمها لعرض محتويات المؤلفات المنشورة حديثا . ويسندها الناشرون ، الذين يعلنون عن بضائعهم بكثرة على صفحاتها — وقد اثر هذا الاعلان في سياسة المجلة . فالناشرون يحبون ان تلقى منتوجاتهم مديحا وذكرا واعتبارا ، لكنهم لا يحبون ان يجري تحليلها بطريقة نقدية . وكان من نتائج ذلك ان معظم المراجعات في « ملحق الكتب » ما هي الا عروض لطيفة حيادية : يطالعها القارىء فيعرف منها ان كتابا ما قد نشر ، لكنه لايعرف الا في النادر ما اذا كان الكتاب جيدا ام رديئاً . وهذا احد الاشياء التي تثير غضب ناقد مثل ماكدونلد . فهو يقول ان المراجعات في « ملحق الكتب » تنتج في معظم الاحيان « كثيرا من العذوبة ولكن ليس من الضياء » . ومن المعروف ان محرري « ملحق الكتب » يعيدون احياناً كتابة ما يردهم من مراجعات قاسية فيجعلونها تمدح الكتب وكانت قبلا تهاجمها !

ينشر كل عام في الولايات المتحدة حوالي تسعة آلاف كتاب . ويعلق « ملحق الكتب » على حوالي ١٨٠٠ منها ، اي اقل من الربع . لكن ما يزعج النقاد ويثير سخطهم ليس ضآلة عدد الكتب المراجعة بل هو طريقة اختيار محرري المجلة لهذه الكتب : فاغلبية الكتب التي تجري مراجعتها هي من القصص — وكثيرا ما تحوي المجلة تعليقات على روايات كان يجب الا تكتب قط ، وكان يجب الا تنشر قط ، وايضاً بالتالي كان يجب الا تراجع قط . وفي عصر علمي كعصرنا ، يندر جدا ان يتضمن « ملحق الكتب » مراجعات لمؤلفات في العلوم الطبيعية : ففي العام الماضي مثلا لم يتضمن من المراجعات للكتب العلمية الا تسعا وكرس العدد ذاته لمراجعات كتب عن لعبة البيسبول .

هذا النقص لا يتجلى في حقل العلوم وحده ، بل يلقاه الناقد في كل حقل آخر . ويجد ماكدونلد متعة كبيرة في ذكر بعض الكتب التي نجحت في دخول صفحات المجلة) كسيرة حياة رجل مغمور كان يتعهد الملبوسات للجيش ، ومذكرات عاطفية لعدد من النساء ، وتاريخ حياة ممثلي وممثلات السينما) بينما يذكر بعض الكتب التي لم تنجح في دخول صفحات المجلة (كمؤلف جديد هام في علم النفس اهتمت به المجلات الاخرى اهتماما كبيرا ، وسيرة ممتازة لحياة باسكال ، وعدد من الكتب القيمة لمفكرين سياسيين من انكلترا) .

ومن القواعد الصارمة التي يتبعها « ملحق الكتب » ولا يحيد عنها ، طريقته التالية : يؤلف الاستاذ س من جامعة هارفرد كتاباً عن التطورات السياسية في الشرق الادنى ، فتعهد المجلة بمراجعته الى الاستاذ ص من جامعة برنستون ، وكان قبل سنتين قد نشر كتاباً في الموضوع ذاته . فيعامل الاستاذ ص زميله بمنتهى اللطف في العادة ، وخاصة ان زميله هذا سيعهد اليه في المستقبل بمراجعة كتابه هو الجديد عن الموضوع ذاته . او ان صدف ان انتقده فان معظم انتقاداته ستنصب على اخطاء ليست ذات بال ولا علاقة كبيرة لها بقيمة الكتاب بوجه عام . ولا يخطر قط ببال المجلة ان تعهد بمراجعة الكتاب الى خبير مثلا من وزارة الخارجية البريطانية او الى مفكر سياسي مصري او الى محرر صحفي لبناني — وهم اناس قد تكون آراؤهم في الموضوع اقل موضوعية ولكنهم في الوقت ذاته اناس عندهم من الآراء الممتعة ما يقولونه اكثر مما عند الاستاذ ص .

لكن اشد ما يثير نفور ناقدي « ملحق الكتب » منه هو ما يتسم به من اسلوب رديء وممل . ويصف ماكدونلد هذا الاسلوب بانه اسلوب الجامعات المدرسي وتتخلله لمحات من الكليشيهات . ويقتبس امثلة متعددة منه ليدلل انه يكتب انما ليملأ فراغا او ليخفي عن القارىء انعدام التفكير انعداما تاما لدى الكاتب .

لم تكن لهذا الهجوم اية نتيجة ، ان نحن نظرنا الى « ملحق الكتب » نفسه . فهو لم يعبأ بالنقد ، وما زال يتابع طريقه كما كان يفعل : ان اسواره القاتمة يحيط بها الدخان ، لكنها ما تزال سليمة . الا انه حدث خلال اضراب الصحف ، الذي دام زمناطويلا في نيويورك وتوقفت اثناءه «النيويورك تايمز» وملحقها هذا عن الصدور ، ان ظهر خطر شديد يهدد « ملحق الكتب » . اتخذ هذا الخطر شكل مجلة جديدة اسمها «مجلة نيويورك للكتب» انشأها عدد من ابرز الكتاب الامريكيين واكثرهم جدية ورصانة ، بدون ان يدعمهم اي مصدر مالي دعما يذكر . وكان هدفها الرئيسي اول الامر ان تبين للبلاد كيف يجب ان تكون مجلات مراجعة الكتب — وقد نجحت في هدفها هذا نجاحا كبيرا . فقد عجت صفحاتها باسماء خيرة نقاد البلاد وابرز شعرائها واقدر روائييها ، وكانت المراجعات فيها على مستوى رفيع جدا سواء من حيث الفكر او من حيث الاسلوب ، وكانت بالطبع اكثر صدقا وامانة وقسوة ، حينما يستدعي الامر ذلك ، مما يحلم « ملحق الكتب » بان يكون في اي يوم من الايام . ويبدو الآن ان « مجلة نيويورك للكتب» ستصبح مجلة منتظمة وتبدأ بالصدور في الخريف القادم . اما هل ستنجح في دك المعاقل القديمة ، فامر لا يمكن التكهن الان به .

وتميزت الفترة الاخيرة باختلاف آخر في الرأي ، وان يكن اختلافا على نطاق أضيق من الذي سبق ، ويتعلق بمسرحية نالت نصيبا وافرا من النجاح اسمها «ومن يخاف فرجينيا وولف ؟ » للكاتب المسرحي الشاب ادوارد البي . عرضت هذه المسرحية في برودوي في اول الموسم واحرزت في الحال شهرة ونجاحا لدى النقاد ولدى جمهور المتفرجين على السواء .

وصفت جريدة « النيويورك بوست » المؤلف بانه في طليعة المؤلفين في حقل المسرح المعاصر ، كما ذكرت « النيويورك تايمز » بانه قد اصبح من دعائم المسرح الامريكي . وكاد يجمع النقاد على ان هذه المسرحية حدث هام في تاريخ المسرح هنا ، الا ان بعض الاصوات ارتفعت تقول عكس هذا . واعتقد الكثيرون انها ستنال ولاشك جائزة بوليتزر للمسرح ، واقترحها بالفعل الحكمان المسرحيان في لجنة الجوائز ، الا ان بقية اعضاء اللجنة رفضوا منحها الجائزة . وكان من نتيجة ذلك ان استقال الحكمان وحجبت جائزة المسرح لهذا العام . ونتج ايضاً عن ذلك هبوب عاصفة شديدة في اوساط المسرح .

ان الكتب التي يقع عليها الاختيار لنوال جوائز بوليتزر كثيرا ما تكون غير الكتب التي يتوقعها المرء ان تكون . فكثير من الكتب والمسرحيات الممتازة تهمل ، وتنتقى بدلا منها كتب ومسرحيات في غاية الرداءة . الا انه يحدث احياناً ان تنتقى كتب ومسرحيات جيدة — مما يعقد الامور ويجعل الناقد في حيرة من ابداء رأيه في هذه الجوائز . لا نعرف لماذا احجمت لجنة الجوائز عن اختيار « ومن يخاف فرجينيا وولف؟ » ولكننا قد نحزر الاسباب الداعية لذلك . فالمسرحية مليئة بالكراهية والضغينة لحد لم تصله اية مسرحية ربما منذ ايام المسرحي الانكليزي سيريل تورنيير في عهد الملكة اليزابيث . وهي في ثلاثة فصول قائمة على شجار عنيف شامل بين زوجين وزوجتيهما كانوا قد عادوا لتوهم من حفلة بقصد ان يحتسوا بعض الشراب قبل ان يأووا الى فراشهم . وتبدأ بشجار الزوج وزوجته الكهلين اللذين يهاجم كل منهما الاخر ويسوطه بعنف كلامياً ، وسرعان ما يستدرجان الزوج وزوجته الشابين فيدخلان لعبتهما هذه المليئة بالكراهية . وقلما نجح مسرحي كما نجح ادوارد البي هنا في جعل جميع اشخاص مسرحيته وحوشاً وانذالا وجعلهم يعرون انفسهم بمثل هذه المتعة المرعبة . وهو يعرض هذا كله ببراعة فائقة ، بل

بشيء من الدعابة الجنونية طوال المسرحية .

هذا الموضوع ليس بالطبع بالموضوع الجديد : فـــان كتاب المسرح الامريكي المعاصر ، مثل تنسي وليمز ، قد عالجوا مرارا وتكرارا موضوع الزواج بشيء من الدهشة ومن الرعب . كما ان المسرح الامريكي لم يعدم في الاونة الاخيرة عددا من المسرحيات المليئة بازواج وزوجات يعرضون ببلاغةوقوةالحقد الذي يشعر به واحدهم نحو الاخر . وكأن المسرحيين قـــد اكتشفوا الخلافات والشجارات الزوجية من جديد وجعلوها مادة لكتاباتهم . ويظهر ان النقطة التي يريـد ادوارد البي ان يشدد عليها هي ان العلاقة القائمة اليوم بين الرجل والمرأة قد اصبحت علاقة مخيفة ملؤها العداء وسوء التفاهم . لكن كيف حدثهذا ولماذا ؟ بعد ان يخرج المتفرج من المسرح معجبا بما شاهده ، يطرح على نفسه مثل هـذا السؤال . ويدرك ان المسرحية لم تعن بالجواب عليه ، وانها اهتمت به انما لتري اثره على وضع الاشخاص الاربعة - وهو وضع خاص وغريب . عندئـذ يصبح الجواب على السؤال هو هذا الادراك : ان المتفرج لم يكن يرى امامه اشخاصاً لهم الشمول والماليـــة اللذان تنتظر وجودهما في العادة في اشخـــاص المسرح ، بل هم في الواقـع اشخاص محدودون منرطقون . وان لم يكن المتفرج نفسه شخصاً منرطقاً مثلهم بالشكل ذاته وفي وضع كوضعهم بالذات، فان المسرحية لاتنشيء علاقة فعلية معه ولا تحمل له معنى حقيقياً .

وما دمت بسيرة الجوائز الادبية : فلاذكر ان جائزة بوليتزر للرواية منحت هـــذا العام لوليم فوكنر بعد وفاته ، اكراماً لروايته « اللصوص ». وهذه الرواية كتاب هزيل ولا يمكننا اعتبار منحه الجائزة الا من قبيل الرغبة في تكريم روائي كبير توفي مؤخرا . فعندما كان فوكنر ينشر رواياته الرئيسية في سنوات الثلاثينات والاربعينات ، تجاهلته لجان جوائز بوليتزر تجاهلا تاماً .

اما الجائزة الوطنية للكتب، وهي جائزة تعني اكثر من جائزة بوليتزر بكثير، فقد اعطيت هذا العام لرواية ج . ف . باورز « موت اربان » - وهي الرواية التي تعرضت لها في « رسالة » سابقة لي ، ظهرت في العدد الاول من « حوار » .